مجلة اللغة العربية وآدابها علمية محكمة
السنة ١٤، العدد ٣، خريف ١٤٤٠هـ
صفحة ٤٧١-٤٩٣

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

جماليات المكان في قصة النبي يوسف عليه السلام

أمير فرهنگ نيا[1]*، ميثم تارم[2]

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد بهشتي
٢. أستاذ مساعد، قسم الإلهيات بجامعة كرمان

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٧/١٢/٣٠؛ تاريخ القبول: ٢٠١٨/٨/٢٨)

الملخّص

تعتبر سورة يوسف من أجمل قصص القرآن، حيث يرسم كافة تفاصيل ما ورد في هذه القصة منذ نعومة أظفار يوسف حتى كبره، من كونه في مصر إلى غيابة الجبّ ثم دخوله مصر وبيت العزيز وقصر الملك إلى حضيض السجن الذي لم يكن من حقه أن يدخل فيه ليخرجه ربّه من بعد سنين ويوصله إلى أعزّ مكان حلم به في الرؤيا وهو أن الشمس والقمر سجدا له، فالقارئ لما حدث في القصة يرى المكان أخذ حيزاً كبيراً في أحداثها، فنسبة الأمكنة الواردة في القصة من الأحداث المذكورة بمنزلة اللحم والسدى لا يمكن الفصل بينهما، فعلى هذا ونظرا لأن المكان يلعب دوراً هاما في بناء القصة القرآنية وتتعدّد وظائفه، حيث يقترن بالهوية ويدلّ على تفاعل ثقافي وسياسي وديني؛ فهو العمود الفقري الذي يربط أجزاء القصة ويعدّ الإطار الذي تنطلق منها الأحداث وتسير فيه الشخصيات ويعدّ اختيار المكان وتهيئته من العناصر الفاعلة في بناء الشخصية البشرية ومن ركائز الكيان والهوية لكل شخص، يعالج هذا البحث المكان ودلالاته في سورة يوسف، كما يهدف إلى الكشف عن رؤية القرآن بالنسبة إلى الأماكن المختلفة التي وردت فيها والدلالات التي اكتسبتها من خلال علاقته بالإنسان؛ كما يسعى إلى معرفة المواقع التي تدور فيها أحداث الخطابات المختلفة بين يوسف وأبيه وإخوته والشخصيات الأخرى؛ وفقا للمنهج الوصفي والتحليلي.

الكلمات الرئيسة

السجن، المدينة، مصر، المكان، يوسف.

---

* الكاتب المسؤول
Email: a_farhangnia@sbu.ac.ir

مقدمة

المكان فضاء يعاش من طرف الإنسان بكامله، بجسمه وروحه، ومن هنا فهو قريب من الفضاءات التي يعرضها علينا الرسام والنحات، وهو عنصر مهم لتأطير المادة الحكائية وتنظيم الأحداث والحوافز من خلال العلاقات التي يقيمها مع الأزمنة والشخصيات والرؤى؛ ترتبط هذه الوظيفة «الوظيفة المكانية» ارتباطا كبيرا بالوظيفة الجغرافية للمكان.فالمكان تكون له وظيفته الرمزية التي تفيد في تأكيد وتعضيد البناء الأساسي للشخصية لدى الفرد؛ بعبارة أخرى، إن مكان النص هو أول ما يلفت الانتباه في هذه القصة، وهناك علاقة وطيدة بين المكان والإنسان، فكلما كان المكان ضيقا مغلقا، كالسجن والقبر ارتبط بالموت، وكلما اتسع وانفتح، كان رمزا للحرية والحياة والانطلاق.هذا وأهمية المكان تكمن في كونه محورا تنمو فيه الأحداث وتتبين فيه علاقات الاشخاص وهو مكمل لدور الزمان في البنية القصية.

للمكان في قصة النبي يوسف دور فاعل، بحيث أنّ الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات، وتتداخل فيها الأحداث؛ يعتبر من أهمّ ركائز هذه القصة؛ وجدير بالذكر أنّ هذه القصة حظيت بدراسة مستوعبة شاملة، لتكشف عن جميع مكنوناتها وتقنياتها المتنوعة، وأساليب السرد المختلفة فيها، وهي ما زالت بحاجة إلى دراسة متعمقة، من هذا المنطلق يقوم هذا البحث بداية بمفهوم المكان لغةً واصطلاحا؛ ومن ثم يناقش أهم جماليات المكان في هذه القصة والوظائف الجمالية الناشئة من الأمكنة المختلفة الواردة فيها، فالسؤالان الرئيسان اللذان يهدف هذا المقال إلى الإجابة عنهما هما:

- ما هو أهمّ الوظائف الجمالية للمكان في هذه القصة؟
- وما هي علاقة المكان بالشخصيات القصصية وأفعالها؟

من الممكن أن ننظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي، فالمكان يكون منظّما بنفس الدقة التي نظمت فيها العناصر الأخرى في الرواية لذلك فهو يؤثر في بعضها، ويقوّي من نفوذها كما يعبّر عن مقاصد المؤلف (بحراوي، ١٩٩٠: ٣٣). ولكن المكان ووصف المكان في الأعمال الأدبية القديمة، يختلف عمّا نراه اليوم، إذ «كان الوصف القديم وصفا تجريديا» (الكردي، ٢٠٠٦: ١٨٩).

لا نرى الحيوية والدلالية في المكان ويتجلّى في صورة جامدة ثابتة، ويؤدّي دور المكمّل إلى

جانب العناصر الأخرى، على عكس الدلالة الرمزية التي نراها في الأدب الجديد وخاصة الرواية الجديدة، حيث «لا يظهر المكان في النص كشيء معزول منفرد، أو بناء أجوف، يحمل من فراغات، وجدران، وغرف، وسقوف، وإنّما يظهر كنشاط إنساني بالسلوك البشري يحمل عواطف، ومشاعر، ومواقف، وهموم، وانفعالات الذين يسكنوه، إنّه يحمل أسرارهم الصغيرة والكبيرة، ما هو معلن وما هو مختفٍ، إنّه تاريخ الإنسان» (حبيلة، ٢٠١٠: ١٩١). مما يجدر بالذكر هو أنّ المحور الرئيس الذي يتمترس البحث حوله هو رؤية غاستون بالشلار في كتابه الشهير بعنوان «جماليات المكان» وهو مصدر قد ركّز فيه الكاتب على المكان الأليف تاركا الحديث عن المكان المعادي كما أنّ «العناصر المكانية يتمّ تقديمها من خلال فكرة «تعليق القراءة» أي أن تجعل المتلقي يستعيد تجربة مكانه الاليف وينطلق هذا كله من فكرة دينامية الخيال، أي أن الصورة الفنية والمكان الاليف والذكريات المستعادة ليست معطيات ذات أبعاد هندسية، بل مكيفة بخيال وأحلام يقظة المتلقي» (باشلار، ١٩٨٤: ٧-٨)، لكنّ النقطة الأساسية التي ينطلق منها المؤلف، هنا هي البيت القديم، بيت الطفولة، هو مكان الألفة، ومركز تكييف الخيال وعندما نبتعد عنه نظلّ دائما نستعيد ذكراه ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية ذلك الإحساس بالحماية والأمن الذين كان يوفر لهما البيت (باشلار، ١٩٨٤: ٩).

إنّ أول من تنبه إلى أهمية المكان في الإبداع الروائيّ الغربي الفرنسي «غاستون باشلار» في دراسته شعرية الفضاء وهي الدراسة التي لفتت انتباه النقاد إلى أهمية المكان في الإبداعات الروائية العربية فكان غالب هلسا أولهم وقد قسّم المكان إلى أربعة أنواع:

١. المكان المجازي: هو الذي نجده في رواية الأحداث المتتالية؛ إذ يكون المكان مساحة للأحداث ومكملاً لها وليس عنصرا مهما في العمل الروائي فهو مكان سلبي يخضع لأفعال الشخصيات.

٢. المكان الهندسي: هو المكان الذي تعرضه الرواية بدقة وحياد من خلال أبعاده الخارجية.

٣. المكان كتجربة معاشة داخل العمل الروائي وهو قادر على إثارة ذكرى المكان عند المتلقي.

٤. المكان المعادي: كالسجن والمنفى والطبيعة الخالية من البشر ومكان الغربة (عزام، ٢٠٠٥: ٦٥-٦٦).

من فرضيات البحث هي:

١. إن أبرز التجليات المكانية هي التعبير عن فكرة الاختلاف والتباين المكاني والاجتماعي والإنساني للشخصيات الحاضرة في هذه القصة.

٢. تشكّل الوحدات المكانية حقلاً دلالياً تقوم بتصوير المجال المكاني لتصرفات الشخصيات القصصية وسلوكياتها؛ فتكشف المعطيات المكانية عن بؤس الواقع الإنساني للشخصيات الماثلة فيها ومعاناتهم ومكابدتهم.

خلفية البحث

هناك دراسات كثيرة تناولت المكان في القصة القرآنية وغيرها من القصص والروايات منها: رسالة جماليات المكان في القصة القرآنية لإيمان محمود الشاويش التي تمت مناقشتها في الجامعة الأردنية سنة ٢٠١١، حيث تناول الباحث آراء الدارسين حول المكان في القصة القرآنية وأهمية المكان في العمل الفني والأمكنة في القصة القرآنية ودورها ودلالاتها وعلاقة المكان بسائر عناصر القصة. كذلك كتاب جماليات المكان في قصص سعيد حورانية لمحبوبة محمدي محمدآبادي، حيث تناولت الكاتبة الخطاب القصصي وكيفية معالجة المكان عند القاص والمكان في صياغة الشخصية القصصية عند القاص وعلاقة المكان بالعناصر القصصية الأخرى. من أبرز الأمكنة التي تناولتها الباحثة هي البيت والسجن والملهي والمقهي والمدينة. كتاب «سورة يوسف دراسة تحليلية، لأحمد نوفل، ١٩٨٩»، وكتاب يخصّ شخصية يوسف «يوسف في القرآن الكريم والتوراة لزاهية الدجاني، ١٩٩٤م»، «القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف لعبدالكريم الخطيب، ١٩٧٥»؛ وفيما يخصّ المكان ودلالاته، ثمة دراسات جديرة بالذكر، منها: «أبوهيف، عبدالله، جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر، ٢٠٠٥م»، «الرواية الجديدة وخصوصية المكان لأحمد جاسم الحسين، ٢٠٠٩»، «دلالة المكان في مسرح باكثير السياسي، لعادل قاسم شجاع ٢٠٠٤م»؛ ناقشتْ هذه الدراساتُ القصةَ عن زوايا مختلفة: الصورة والبناء القصصي تركيزا على عناصر القصة وشخصياتها كيوسف، الإخوة، امرأة العزيز، الملك وغيرهم ولكن لم نجد بحثا بخصوص جماليات المكان ودلالاته في هذه القصة، فيعتبر هذا البحث أول دراسة شاملة من نوعها.

المكان لغة واصطلاحا

إن السؤال عن الواقع مرتبط بالسؤال عن الوجود الإنساني، هذا الوجود الذي تحقق دوما في ظلّ مكان حيث كان رحم الأمّ هو المكان الذي مورست فيه الحياة بشكل أو آخر، ثمّ جاء المهد، ثم البيت، ثم الشارع، ثمّ المدرسة، ثم المدينة أو القرية، ثمّ أمكنة أخرى يكون آخرها

قبراً، لكن المكان الذي يأسر الخيال لا يمكن أن يبقي مكانا لامباليا خاضعا لأبعاد هندسية وحسب، بل هو مكان عاش فيه الناس ليس بطريقة موضوعية، وإنما بكلّ ما للخيال من تحيزات (سيزا، ١٩٨٤: ٧٦). يعرف المكان لغةً على أنّه المنزلة، يقال: هو رفيع المستوي والموضع، أما المكان اصطلاحا: (هو المكان الآليف، وذلك هو البيت وُلدنا فيه، أي بيت الطفولة، إنّه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا، فالمكان ية في الأدب هي الصورة التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة، ومكانية الأدب العظيم تدور حول هذا المحور) (باشلار، ١٩٨٤: ٦). ورد في القرآن الكريم ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**﴾ (مريم/١٦).

اختلف النقاد والباحثون في فهمهم للمكان، فمنهم من نظر اليه على أنّه المكان الجغرافي، وبعضهم نظر اليه على أنّه فضاء الصفحة، وبعضهم نظر اليه من زاوية المنظور الثقافي، وبعضهم نظر اليه من زاوية المنظور البلاغي، بالإضافة إلى خلط النقاد بين المكان والفضاء «لحمداني، د.ت، ٥٣». لكن عبد الملك مرتاض يقترح مصطلح «الحيز»، بديلاً لمصطلحي الفضاء والمكان ، ويميز بين الفضاء والحيز، «من حيث إنّ الفضاء يدلّ على الخواء والفراغ، وبين الحيز والمكان ، من حيث إنّ المكان يدلّ على الجغرافي والمحدود فقط، في حين أنّ الحيز أوسع من الفضاء، لاشتماله على الوزن والثقل والحجم والشكل، كما أنّه أشمل من المكان لدخول غير المحدود والخيالي في مدلوله (مرتاض، ١٩٩٨: ١٤١). يعَدّ المكان عنصرا هامّا للقصة، لا يمكن الاستغناء عنه، لتداخله مع العناصر القصصية الاخرى، كالشخصيات والأحداث والزمن، فيحتوي المكان القصصي على أمكنة القصة وأشيائها جميعا، كما يقدّمها الوصف المنتظم في سياق حركة تشكل البناء القصصي أو الروائي، أي في سياق حركة الفعل الذي يجري فيها، « فالفضاء هو معادل لمفهوم المكان في الرواية، ولا يقصد به بالطبع المكان الذي تشغله الأحرف الطباعية التي كتبتْ بها الرواية، ولكن ذلك المكان الذي تصوّره قصّتها المتخيلة» (لحمداني، دون تا: ٥١).

تتغير صورة المكان وفق زاوية النظر التي يلتقط منها، وفي بيت واحد قد يقدّم القاصّ لقطات متعدّدة تختلف باختلاف التركيز على زوايا معينة، وحتى القصص التي تحصر أحداثها في مكان واحد، نراها نراها تخلق أبعاداً مكانية في أذهان الأبطال أنفسهم، وهذه الأمكنة يجب أن تُؤخذ بعين الاعتبار (لحمداني، دون تا: ٦٣)، فإنّ الفضاء أوسع وأشمل من

معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكوّن الفضاء، وهذا الفضاء يجمع جميع الأمكنة المتعددة؛ فالرواية تخضع لمقاييس الإيقاع، ودرجة السرعة، فهي قريبة من الفنون الزمانية، ولكنها تشبه الفنون التشكيلية في تشكيله للمكان، ذلك أنّ القارئ عندما يبدأ بقراءة الرواية، فإنّه ينتقل مكانيا إلى المكان المتخيل الذي أنشأه الروائي من خلال رحلته في المكان، إنّ مكان الرواية ليس المكان الطبيعي، إنّه مكان متخيل (قاسم، ١٩٨٤: ١٧٤).

عرف مصطلح الفضاء اختلافا بين النقاد العرب، سواء من الناحية الشكلية أم المضمونية فترجم ترجمات مختلفة، فهذا غالب هلسا يترجمه بالمكان وذلك حين نقل كتاب غاستون باشلار إلى العربية تحت عنوان جماليات المكان. يستعمل مصطلح «الفضاء» في السيميائيات كموضوع تامّ يشتمل على عناصر غير مستمرة، انطلاقا من انتشارها لهذا جاءت تكون موضوع الفضاء، اعتبار كل الحواس في سيميائية الاهتمام بالفاعل كمنتج ومستهلك للفضاء. إنّ استراتيجية الفضاء في السرد تتنوع في كونه إطارا يشتمل على أحداث، فالحدث الروائي لا يقدم إلا مصحوبا بجميع إحداثياته الزمانية والمكانية وبين كونه فاعلاً ومؤثرا في أحداث القصة تربطه بها علاقة جدلية ويتسع مفهوم الفضاء ليشمل البيئة الطبيعية والصناعية بمختلف أنماطها ووظائفها والشوارع وكلّ الأماكن التي تعيش فيها الشخصيات الروائية كما يشمل الوقت من اليوم وما يترتّب عليه من أضواء أو ظلمة أو الطقس بكلّ أحواله والأصوات والروائح (الأحمر، ٢٠١٠: ١٢٤-١٢٥).

المكان والقصة

ميز البنيويون بين المكان الخارجي والمكان الروائي، فالمكان الخارجي هو المكان الخارجي المتموضع على الخارطة الجغرافية، ويمكن للباحث أن يتعامل معه مباشرة بإخضاعه للمحدّدات الموضوعية المتداولة، وقد أُطلقت على تسميات عدة: «المكان الواقعي، الموضوعي، الطبيعي، المرجعي» ومرجعية هذا المكان تُحدَّد بالإسم الذي يحمله ويتميز به، أما المكان الروائي فهو مكان متخيل (مرشد، ٢٠٠٥: ١٢٩). يتمحور النص الروائي حول أماكن محدّدة وأماكن غير محددة؛ أما الأماكن المحددة فهي التي لها عنوان واضح، يميزها عن غيرها ويساعد المتلقي على إدراك ذلك المكان الذي يقع على الخارطة، «بحيث يتجه في قراءته نحو مراد الروائي من الرموز والإيحاءات والدلالات» (الفيصل، ١٩٩٥: ٢٦٠) أما المكان غير المحدد يتموضع فوق الفضاء الورقي لتجرّده من الإسم ومن التجليات التي تميزه عن الأماكن الأخرى.

هناك تقسيمات أخرى للمكان «الحيز»، منها الحيز أو المظهر الجغرافي، وهو «مثول المكان في مظاهر مختلفة وأشكال متعددة: الجبال، الهضاب، الوديان، الغابات والتِّلاع» (مرتاض، ١٩٩٨: ١٢٣) والمظهر الخلفي للحيز بحيث يمكن تمثل الحيز بواسطة كثير من الأدوات اللغوية غير الدلالة التقليدية على المكان مثل الجبل، الطريق والمدينة؛ وذلك بالتعبير عنها تعبيرا غير مباشر، مثل قول القاصّ في أيّ كتابة قصصية: سافر وخرج ودخل ... (مرتاض، ١٩٩٨: ١٢٤). ولكن المعيار هنا للباحث هو معالجة الموضوع وفقاً للمكان المغلق والمفتوح.

قصة النبي يوسف

إنّ سورة يوسف وقصته من أجمل القصص في القرآن، وهي القصة الوحيدة التي استغرقت سورة طويلة من القرآن الكريم؛ وهي الفريدة التي جاءت في مكان واحد ولم يتكرّر في مواضع اخرى، ولو قارنتها مع قصة موسى أو إبراهيم أو غيرها لوجدت أن تلك القصص تحتمل التوزيع والتقطيع على مشاهد متعددة؛ لأنّ كلّ مشهد يعتبر وحدة كاملة مثل موسى والعبد الصالح، وموسى في مدين و...، ولكن وحدة أحداث قصة يوسف لا تجعل من الممكن فنياً وموضوعياً أن تقطعها أو توزعها على مرّات عرض متعددة، وفي هذا يتجلى وجه من وجوه الإعجاز القرآني، ودقّة وحكمة هذا الكتاب الذي هو من لدن حكيم خبير (نوفل، ١٩٨٩: ١٠). تمثل قصة يوسف ـ كما جاءت في هذه السورة ـ النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة، بقدر ما تمثل النموذج الكامل لهذا المنهج في الأداء النفسي والعقيدي والتربوي والحركي أيضا؛ ومع أن المنهج القرآني واحد في موضوعه وفي أدائه؛ إلا أنّ قصة يوسف تبدو وكأنها المعرض المتخصص في عرض هذا المنهج من الناحية الفنية للأداء (قطب، ١٩٨١: ١٩٥١).

تعرض القصة شخصية يوسف عليه السلام ـ وهي الشخصية الرئيسة في القصة ـ عرضا كاملاً في كل مجالات حياتها، بكل جوانب هذه الحياة، و بكل استجابات هذه الشخصية في هذه الجوانب وتلك وفي تلك المجالات؛ وتعرض أنواع الابتلاءات التي تعرضت لها تلك الشخصية الرئيسة في القصة، وهي ابتلاءات متنوعة في طبيعتها وفي اتجاهاتها، ابتلاءات الشدة وابتلاءات الرخاء، وابتلاءات الفتنة بالشهوة والفتنة بالسلطان، وابتلاءات الفتنة بالانفعالات والمشاعر البشرية تجاه شتى المواقف وشتى الشخصيات، ويخرج العبد الصالح من هذه الابتلاءات والفتن كلها نقيا خالصا متجردا في وقفته الأخيرة متجها إلى ربه بذلك الدعاء

المنيب الخاشع (قطب، ١٩٨١: ١٩٥٢). ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ فهذا الشراء هو نهاية المحنة الأولى في حياة النبي الكريم؛ والتخلص من جوف البئر.

إنّ لسورة يوسف موقعاً خاصاً في النفوس فلطالما اشتاقت إلى سماعها مرة بعد مرة، ولطالما تفتّحت القلوب لها، والآذان لنغماتها الحلوة، وإنّ لها نغماً علوياً خاصاً بها، وإنّك لتحسّ فيها بيد القدر الإلهي تحرّك الحوادث، ولترى فيها الإنسان يريد ويقدّر ومن فوقه عناية إلهية غالبة تبلغ من هذا الإنسان ما تريد لا ما يريد، وتصل بالأمور إلى عواقبها ونهاياتها المرسومة المقدرة (نوفل، ١٩٨٩: ١٢). طالما هزّت هذه السورة المشاعر والعواطف وحرّكت الضمائر، وهي تجول بنا في عالم الحياة الإنسانية بحوادثها ووقائعها ومشاعرها وعواطفها وأفكارها وعقائدها.

إن الله تعالى يقصّ فيها قصة حياة الإنسان أحسن القصص، إنّها قطعة من الحياة بعروقها النابضة ومشاعرها المتأججة ونوازع الخير والشرّ فيها، إننا نرى فيها أنفسنا ولكن نرى مع ذلك يد القدر ونحسّ أثرها فينا وفي أعمالنا؛ إننا نراها تخط في الحوادث مصيرنا وتبلغ بنا الغايات المقدرة. «لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين» «يوسف،٧»، ولم تتكرّر السورة لاشتمالها على تشبيب امرأة العزيز والنسوة، بأبدع الناس جمالاً، وهو يوسف عليه السلام، ويناسب ذلك عدم التكرار، لما فيه من الإغضاء والستر (الآلوسي، ١٩٩٤: ج٣٦٨/١٢).

جاءت قصة يوسف في معرض واحد في القرآن الكريم، وفي ثمان وتسعين آية، ابتداء من الآية الرابعة من السورة إلى الآية الواحدة بعد المائة، وهذه ظاهرة لم تكن في قصة نبيّ من الأنبياء، حيث تتعدّد المعارض، وتتوزع المشاهد في كلّ قصة في أكثر من مائة موضع في القرآن الكريم، كقصة موسى، التي عدّ العلماء ذكرها في مائة وعشرين موضعا (الخطيب، ١٩٧٥: ٣٩٦). فالقصة هي نسيج قصصي محكم متماسك من أولها إلى آخرها ويعالج قضايا اجتماعية، كالضغينة والحقد والكيد من جانب الإخوة على يوسف النبي وهذا ما تكهن أبوه، حينما أخبره يوسف برؤياه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ، قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يوسف/٤-٥).

لقد كشف يعقوب لابنه عن جانب من تأويل هذه الرؤيا، وأنّها تشير إلى خير كثير ينتظر يوسف، ويجعله بالمكان الذي لا يناله إخوته، والذي سيكون فيه بموضع السيادة

والرئاسة عليهم، ولهذا فإنّه ينبغي ألا يتحدث يوسف بهذه الرؤيا إلى إخوته، فهذا مما يزيد في حسدهم له، ويجعل بالمساءة والكيد الذي يكيدون له، إنّهم سيرون من هذه الرؤيا في بيت النبوّة، ومن ابن النبي شواهد على أنّ يوسف مرشّح من السماء لخير عظيم، أمّا هذا الخير فلا تعرف حقيقته، إنّه خير مخبوء ستجيء الأيام بتأويله. (الخطيب، ١٩٧٥: ٤٠٨) فبدأت القصة برؤيا يوسف، وانتهت بتأويلها؛ وفيها الدلالة على أنّ كلّ مسلم استمسك بالعروة الوثقى في السرّاء والضرّاء، فهو سبحانه وتعالى يحميه ويجيب دعوة الدّاع إذا دعاه.

تجليات المكان في قصة يوسف

يعكس عنصر المكان البيئة الخارجية لهذه القصة، فالبيئة المكانية تشمل الأحداث والوقائع المختلفة لهذه القصة مصر وكنعان ومن ثم تنقسم على أمكنة صغيرة منها:

ترتبط حبكة الأحداث في هذه القصة بالأمكنة المتعددة فيها، وهناك علاقة متماسكة بين المكان والغرض الديني المستخرج من هذه القصة؛ وردت كلمة «مكان» في هذه السورة عن قول النبي يوسف في وجه إخوته، عندما وجدوا صواع الملك في رحل أخيه: ﴿**قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ**﴾ (يوسف/٧٧)، فقصده: أنتم شرٌّ منزلة من يوسف وأخيه؛ إن الفضاء القصصي في هذه السورة هو نقطة التقاء النص القرآني بالقارئ، ينمّي هناك أمكنة سيشار اليها؛ وهناك أفعال تشارك أحداث تنبت في المكان مثل انقلبوا وجاؤوا وما شابهها. فيتمّ التركيز في هذا البحث على أهم الأماكن التي وردت في قصة النبي يوسف، وهي: غيابة الجب وبيت العزيز والمدينة والسجن ومصر.

غيابة الجب

الجبّ كما ورد في الآيات التالية، من الأمكنة الضاغطة، التي سلبت الحرية من يوسف ووردت هذه الكلمة مرتين في المصحف الشريف واختصت بهذه السورة المباركة: ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**﴾ (يوسف/٩-١٠). لقد كان الجبّ على طريق القوافل التي تبحث عن الماء في مظانّه، في الآبار، وفي مثل هذا الجبّ الذي ينزل فيه الماء ويبقي فترة، ويكون في بعض الأحيان جافّا. (قطب، ١٩٨١: ١٩٧٦) تتجلى شخصية إخوة يوسف من خلال هذه المحادثات، ويرتكز على حقدهم وضغينتهم في يوسف؛

ويعلّمنا أنّ يوسف وإخوته لم يكونوا من أمّ واحدة؛ فالإخوة اتفقوا على إلقائه في ظلام البئر «قمة الأزمة الأولى»؛ وهكذا يحدث تفاقم الأزمة التي ارتكبها الإخوة وهم كانوا بصدد التخلص منه؛ اللهم إلا أنهم لم يدركوا بأنه سبحانه وتعالى أنزل سكينته عليه وبشّره بإكرام مثواه والنجاة من هذه العقبة الصعبة بعونه، فألهمه إلهاما قويا، إذ قال: ﴿**فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ (يوسف/١٥)؛ إنّ البئر هذه مليئة بقلق وخوف من جهة وإرادة وشوق من جهة اخرى، القلق والخوف بسبب ما تعامل إخوته معه وإلقائه في الجبّ، والإرادة والشوق بسبب إيحائه عزّ وجلّ اليه في أنه يتخلص من الظلام ويواجههم في يوم يخبرهم بسوء فعلهم.

إخوة يوسف والأحقاد الصغيرة في قلوبهم تكبر وتتضخّم حتى تحجب عن ضمائرهم هول الجريمة وبشاعتها ونكارتها؛ ثمّ تزين لهم «المحلل الشرعي» الذي يخرجون به من تلك الجريمة؛ ملاحظاً في هذا واقعيتهم في بيئتهم الدينية، وهم أولاد نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وانطباعات هذه البيئة في تفكيرهم ومشاعرهم وتقاليدهم، وحاجتهم النفسية ـ من ثم ـ إلى مبرّر للجريمة، وإلى طريقة للتحلل من نكارتها وبشاعتها (قطب، ١٩٨١: ١٩٥٢-١٩٥٣).

تتضح الوظيفة التفسيرية لشخصية إخوة يوسف من رمزية البئر وما يتعلق به، وأدّى الظرف المكاني وظيفة تجانسية بين حدود المكان والتعبير عن كوامن النفس للإخوة، وتُعتبر غيابة الجبّ وصورته تجسيدا استعاريا لصورة الشخصيات وأمانيهم الداخلية.

بيت العزيز

يمثل البيت الداخل المكان المنغلق «الأمين» في رؤية باشلار، ويمثل الخارج المكان المنفتح الذي يوفّر حماية أقلّ؛ بعبارة اخرى فالداخل هو «البيت» بكلّ ما يحمل من قيم الاستقرار والهناءة؛ بينما الخارج هو الكون نقيض البيت حيث لا يمكن أن يتشابها في قيمتهما وبالتالى في جمالياتهما (باشلار، ١٩٨٤: ٥٥). والمكان وبخاصة الأليف، كالبيت كناية عن الذات وهو ركن الإنسان في العالم: كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى فبدون البيت، يصبح الانسان، كائنا مفتتا؛ إنه البيت، يحمي الإنسان، ويحتفظه عبر عواصف السماء وأهوال الأرض (هلسا، ٢٠٠٦: ٣٨)، فالبيت كما ورد في الآيات التالية، من الأمكنة الضاغطة، التي سلبت الحرية من يوسف وورد مرة واحدة في هذه السورة: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ**

﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف/٢٣).

إن عملية استحضار الغائب تفيد في تحويل القارئ إلى منتج للنص ويجعلها مضاعفة الجدوى، فهي من ناحية تثري النص إثراءً دائما باجتلاب دلالات لا تحصى اليه، ومن ناحية اخرى تفيد في إيجاد قرّاء إيجابيين يشعرون بأن القراءة عمل إبداعي، وهو شعور لا يمكن تحقيقه إلا إذا أحس الإنسان أنه يقدم شيئا إلى النصّ عن طريق تفسير إشاراته حسب طاقة القارئ الخيالية والثقافية، وهذا التفسير هو فعالية صادرة من القارئ مما يشعره بأنه يمتلك هذا النص المفسر حين أخذ يشارك في إنتاجه، ويحدث لهذا ردة فعل بعيدة الأثر في تقدم الفكر البشري وانفتاحه، وفي تذوق اللغة وجمالياتها... فلذا فإنه لا سبيل إلى إيجاد قراءة موضوعية لأي نص، وستظل القراءة تجربة شخصية كما أنه لا سبيل إلى إيجاد تفسير واحد لأي نص، وسيظل النص يقبل تفسيرات مختلفة (الغذامي، ١٩٩٨: ٨٤-٨٥). انطلاقا من هذا يتجلى من الدلالات الموجودة في الآية المذكورة هذه أن بيت العزيز يوحي بمكان الغربة للنبي يوسف، حيث أن الآية تعكس البناء المكاني الدالّ على الثنائية والتعارض القائم بين فضاء الأهل وبيت الأبوة ليوسف ومن جانب آخر فضاء الغربة؛ وعلى الرغم من علاقاته مع الاخرين في بيت والده، من علاقة حب إلى أبيه وعلاقة كراهية من إخوته، فعل هذا كله، لما دخل بيت العزيز فهو عاش فضاء غريبا مليئا بالكوارث والدواهي والابتلاءات؛ لعلّ مكان الغربة هذا يتجذر في أن يوسف لم يكن فيه سيد نفسه، ولم يحقّ له أن يساهم بما لديه ويضحي من أجله، بل هو تصور نفسه غلاما لا شأن له سوى طاعة من ربّياه من العزيز وامرأته؛ فالآية هذه ترسم المشهد القصصي للقارئ رسما بالغ الاهتمام.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾، هذا هو بداية الأزمة الثانية في حياة النبي.

وامرأة العزيز في صُرَع الشهوة التي تعمي عن كلّ شيء في اندفاعها الهائج الكاسح، فلا تحفل حياءً أنثويا ولا كبرياءً ذاتيا، كما لا تحفل مركزا اجتماعيا ولا فضيحة عائلية؛ والتي تستخدم كل مكر الأنثي وكيدها، سواءً في تبرئة نفسها أو حماية من تهوي من جرائر التهمة التي ألصقتها بها؛ وتحدد عقوبة لا تؤدي بحياته؛ أو ردّ كيد للنسوة من ثغرة الضعف الغريزي الشهوي الذي تعرفه فيهن من معرفتها لنفسها (قطب، ١٩٨١: ١٩٥٣). فإن الأداء القرآني ـ الذي ينبغي أن يكون هو النموذج الأعلى للأداء الفني الإسلامي ـ لم يتخلل عن

طابعه النظيف مرة واحدة، حتى وهو يصوّر لحظة التعرّي النفسي والجسدي الكامل بكلّ اندفاعها وحيوانيتها، لينشئ ذلك المستنقع الكريه الذي يتمرّغ في وحله كتاب «القصة الطبيعية» في هذه الجاهلية بحجة الكمال الفني في الأداء (قطب، ١٩٨١: ١٩٥٤).

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ... وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ (يوسف/٢٥)، أما الباب فهو المخرج الوحيد الذي خطر ببال يوسف لكي يبعد نفسه من هذا المشهد الكارثي، حيث رأى برهان ربه ولاذ بالفرار من حادث لا يحمد عقباه، لكنه وإن اهتم بالهروب نحو الباب للتخلص من شغف امرأة العزيز ولكنهما واجها العزيز لدى الباب وليصرف ربّه السوء عنه والفحشاء، وأصبح يوسف عرضة للتهم الموجهة اليه من قبل امرأة العزيز.

مهما كان الأمر، فانّ البيت بما يجب أن يكون مكانا اليفاً آمناً يرتاح به الانسان من دون خوف وحزن، تغيرت رمزيته وفقدت هويته إلى مكان معاكس؛ إذ لم يقم من يعيشون به، بالسلوك الانساني او المهام التربوية او لم يهتموا بالتدابير المقتضية في كل من الأحوال والمقامات.

المدينة

المدينة هي مسكن الإنسان الطبيعي، وهي المكان الإنساني الأفضل المبني لسعادته، شأنها في ذلك شأن كلّ تجمع بشري كالقرية أو البادية في أول الأمر؛ ولقد كان تكوّنها تلقائيا بطيئا في المراحل الأولى، ثمّ تقنيا حثيثا في مراحل متأخرة، أوجدها الناس لتكون في خدمتهم وعلى مستواهم، أوجدوها لتتناسب أذواقهم ومشاربهم ولتساعدهم على العيش وتطمئنهم من العالم المناوئ ومن أنفسهم (غايید، ١٩٧٧: ٥)؛ فالمدينة هي بيت المجتمع، ذات دلالات متنوعة وتختلف مواقف الناس اليها حبّا أو كرها، رغبة فيها أو نفورا منها.

عندما نلقي نظرة متأملة في تاريخ المدن نجد أنها أخذت تستقطب جهد الإنسان وتفنّنه أشدّ افتنانٍ حيث كان يتحقق فيها التواصل والطمأنينة، فلا نكاد نجد بين سكانها والنازحين إليها من يتخذ موقفاً عدائياً منها (عرفت‌پور وعبيدي، ١٤٣٩: ٥٦٦). تتشكل البنية الدلالية للمدينة في قصة النبي يوسف بهذه الآية: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يوسف/٣٠)؛ يصوّر هذا المشهد النسوة اللاتي قمن بتداول الخبر في اجتماعهنّ بالازدراء والتأنيب لامرأة العزيز لخروجها من حدود العفة والحياء، وعدم استطاعتها في ضبط عواطفه نحو فتاها يوسف؛ واتخاذ هذا الموقف من النساء نحو زوجة العزيز يستند إلى كونها ذا شأن في مصر؛ فهي المرأة الثانية أو الثالثة في

بلده، هذا وصمة عار لها وللأسرة الحاكمة؛ «إنها الفضيحة قد أخذت تتحرك بسرعة في المجتمع، وإنها اليوم حديث نساء الحاشية، وما حولها، وغدا ستكون حديث البلاد كلّها، فلابد من تدبير يمسك هذه الفضيحة، أو يخفف من انطلاقها، وإلّا أفلت الزمام وسادت العاقبة» (الخطيب، ١٩٦٧: ج١٢/١٢٦).

السجن

كم من أفراد خرجوا عن المتعارف به من الجماعة، فتمثل عملهم بالجريمة والسلب والنهب والتنكر للقوانين والضرب بها عرض الحائط، فكان مصيرهم السجن. وكم من أفراد زُجُّوا في غياهب السجون لأنهم لم يستجيبوا لرغبة حاكم أو لأنهم خانوا بلادهم وعملوا لمصلحة الأعداء، وكم من أفراد سُجنوا ظلما فكانوا أبرياء لم تثبت إدانتهم. بل كم من أناس سجنوا بسبب أفكارهم ومواقفهم الآيلة إلى التغيير (المعوش، ٢٠٠٣: ٢٨). فالسجن كما ورد في الآيات التالية، من الأمكنة الضاغطة، التي سلبت الحرية من يوسف، كما ورد في قوله تعالى: ﴿**قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (يوسف/٢٥) ﴿**وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ (يوسف/٣٢) إن الخروج عن القوانين بأشكاله المختلفة يؤول إلى السجن والإنسان مسؤول عن أعماله، يتحمل تبعاتها إيجابا وسلبا، لكنه في بعض الأحيان بحاجة إلى من يأخذ بيده، هو بمعالجة أكثر مما هو بحاجة إلى سجن، وفي الأحوال كلها، فإن مفهوم السجن يتراوح بين الانتقام والمعالجة، بين كونه دار إصلاح أو مكانا لتسديد حساب ظالم أو باغٍ متسلط (المعوش، ٢٠٠٣: ٣٣).

﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾ (يوسف/٣٣) ... ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ**﴾ (يوسف/٣٦) ... ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ**﴾ (يوسف/٣٩) ... ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا**﴾ (يوسف/٤١) ... ﴿**فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ**﴾ (يوسف/٤٢).

يعتبر السجن شكلاً من أشكال العقاب للمرء، جزاء على ذنب ارتكبه، أو خطأ وقع فيه، وسوغه الحكم أو القانون واعترف به المجتمع البشري؛ اللَّهم إلّا أنه من أنواع الظلم في حقّ من يسجن عن موقف حرّ يخالف الحكم السائد الظالم، أو ما يغاير المعتقدات الدينية للإنسان. نتأكد من وجود الكلمة في القرآن الكريم من آيات كثيرة ترد فيها الدلالة على معنى الحبس والإيقاف وحجز الحرية لسبب من الأسباب (المعوش، ٢٠٠٣: ٢٩).

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ (يوسف/١٠٠).

تكرّرت كلمة السجن ستّ مرّات في هذا السورة، واشتق من مادتها «يسجَنَ»، «لَيسجَنَنَّ» و«لَيسجُنُنَّه»:

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (يوسف/٢٥). ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف/٣٢). ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ (يوسف/٣٥).

إذا تابعنا شخصية يوسف عليه السلام فإننا لا نفتقد في موقف واحد من مواقف القصة ملامح هذه الشخصية المنبثقة من مقوّماتها الذاتية البيئية الواقعية المتمثلة في كونه «العبد الصالح- الإنسان بكل شرعيته ـ مع نشأته في بيت النبوة وتربيته ودينه؛ فهو في السجن وظلماته ـ مع السجن وظلماته! ـ لا يغفل عن الدعوة لدينه، في كياسة وتلطف ـ مع الحزم والفصل ـ وفي إدراك لطبيعة البيئة ومداخل النفوس فيها؛ كما أنه لا يغفل عن حسن تمثيله بشخصيته وأدبه وسلوكه لدينه هذا الذي يدعو اليه في سجنه (قطب، ١٩٨١: ١٩٥٥)، فهو ـ مع هذا كله ـ بشر، فيه ضعف البشر، فهو يتطلب الخلاص من سجنه، بمحاولة إيصال خبره إلى الملك،لعله يكشف المؤامرة الظالمة التي جاءت به إلى السجن المظلم، وإن كان الله ـ سبحانه ـ شاء أن يعلمه أن يقطع الرجاء إلا منه وحده «المصدر نفسه». والسجن وان كان محط العذاب والاغتراب، يكون نقطة انطلاق إلى مآرب متمايزة واهداف متسامية وأغراض متعالية؛ إذ كان السجن ظرفا لمن يريد أن ينمي بذور روحه وعقله؛ فلهذا يعبر عنه يوسف بأنه أحبّ إليه مما دعي إليه.

انطلاقاً من هذا؛ وفي قصة النبي يوسف، دعت زوجة العزيز يوسف للفحشاء والسوء، ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف/٢٣)؛ فالمكان مليء بالفتنة، والأبواب مغلّقة؛ وكلّ شيء جاهز للوقوع في ورطة الشهوات والمعاصي، ولكنّ من يتوكل عليه ـ سبحانه وتعالى ـ فيجعل له مخرجا ويهديه إلى سواء السبيل، فردة الفعل هو الالتجاء إلى الله «معاذ الله»، وتنتابنا الدهشة حين نسمع امرأة العزيز ترمي يوسف بتهمة الخيانة ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (يوسف/٢٥)، نعم اتهمت زوجة العزيز يوسف

بالخيانة، ولكن العزيز يواجه قول شاهد من أهلها: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (يوسف/٢٦-٢٨).

ينتقل يوسف إلى السجن بعد هذه التهمة المنكرة وكانت حالته عند دخوله السجن مزيجاً من الفرح والحزن، الفرح لأنّه ابتعد عن بيت المكر والخديعة، والحزن لأنه سجن ظلماً وبسبب السمعة السيئة لمن لا يعلم حقيقة الحال، لكن السجن كان فاتحة خير له، وربّ محنة في ضمنها منحة (عمر باحاذق، ١٩٩٤: ٢٢٩)؛ ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف/٣٣)؛ أما زوجة العزيز نراها تقترح على يوسف الاستجابة لهواها والمطالب الجنسية الحيوانية، أو وضعه في السجن، بأنواع القهر والاحتقار والتهمة؛ ولا شك أن معاملتها إياه تنطلق عن الحبّ الواضح ليوسف، والممتزج بنار الضغن لرفضه لها، فهذا الموقف بعيد كلّ البعد عن التعقل والحكمة، وذلك بسبب سيطرة العواطف الغريزية الجامحة عليها، ممتثلة في أفزع صورة ممكنة؛ فالآية تشير إلى حكمة يوسف وانبهاره تجاه هذه المكايد والدسائس التي واجهته.

ولكن السبب الرئيس لهذا الحزن الذي اعتري يوسف، ربّما كان في أنه لم يكن عارفاًبأن السجن يختم له بالخير ويجعل الله اليسر بعد العسر؛ إذ اعترفت زوجة العزيز ببراءة يوسف: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ، ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف/٥١-٥٢)؛ ولم ينته الخير إلى هذا الحدّ، بل استدعاه الملك لتولّيه أمر الخزائن، وذلك بعد أن كلّمه ووجده صادقا وأمينا ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف/٥٤)؛ ورفع الملك مكانة يوسف وجعله المسؤول الأول في مصر.

إنّ تجربة يوسف في السجن تعكس بعدا إنسانيا يتصل بالظلم من جانبين: ظلم وقع عليه وأدخل السجن به، من غير وجه حق، وما استطاع ردّه بقدراته الذاتية، وظلم جرّبه داخل السجن تعذيبا وقهرا، واستطاع الانتصار عليه بصموده وتوكله على الله سبحانه وتعالى؛ بناء على هذا، نراه يواجه إخوته في الوحدة الأخيرة من القصة وهم عرفوه، خجلين بما فعلوه، ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف/٩٠)؛ أراد يوسف ألّا يسبّب إيلام مشاعر إخوته أو لا يزعجهم فيما

عاملوه من سوء الفعل، فقام بالحديث عن التقوي والصبر على الشدائد والدواهي، وأنّ العاقبة للمتقين والمحسنين.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف/٣٦).

إن «السجن» هنا موظف توظيفا أيديولوجيا؛ بحيث يتحوّل فضاء السجن من مجرد فضاء للحسرة والزفرة والتأوه والتمزق النفسي والحزن على ما فات والضجر لما حصل دون ارتكاب الجريمة والتعبير عن مشاعر الحزن والغربة واللا استقرار، إلى فضاء للكفاح والمثابرة على طاعته عزّ وجلّ، ويتحقق ذلك عبر علاقاته بالمسجونين الاخرين المتشابهين الذين يحاولون خلق جوّ من التواصل بينهم، بناء على هذا، التجأ السجناء اليه يتكلمون معه ويعبرون عن مشاعرهم وأحاسيسهم؛ منهم هذان الفتيان اللذان حكيا عن رؤياهما، مطالبَين منه تأويلها؛ وينجم هذا كله عن أنهما وجداه من المحسنين، فنراه قبل أن يردّ عليهما بتأويل رؤياهما، يقوم بهداهما، إذ يقول: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف/٣٩). ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ (يوسف/١٠٠).

فالسجن هو يمثل معترك الحياة، بهمومها وإيجابياتها، وعلاقة يوسف به علاقة التنافر والتجاذب؛ تبعا للموقف من الحياة والاختبار والفشل والنجاح.

إن الصورة المكانية يعرض واقعية اللغة والشخصية والقضية، دون مغالاة أو مبالغة أو إثارة؛ فالشخصية والقضية والوعاء اللغوي التصويرى الذي يحتويهما، بينهما علاقة تضامنية قياسية توضح أهمية التناول والعرض ومنسبة اللفظ والحركة الدرامية؛ ومن معالم التأثير والإقناع والاعتماد على ظاهر اللفظ، أن القاصّ «سبحانه وتعالى» لم يهمل العناصر اللغوية ذات المدلول الاجتماعي المتعارف عليه والجمل ذات الخصوصية الاجتماعية؛ والتي تجعل القارئ قريبا من بناء الشخصية، داخل العمل القصصي: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ... نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ...، قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾؛ فكلام يوسف الدال على علمه بالغيب وهو اطلاعه على الطعام المعروض على السجناء، والاستدلال بأنّ ربه علّمه ما يدّعيه، فهذا جعل السجناء يحتارون في أمره، حيث لم يسبَق لهم مثل هذا، ثم تأويل الرؤيا بدقة كاملة، فهذه العناصر اللغوية جعلتْ شخصية يوسف وأقواله الصادقة قريبة إلى القارئ، بحيث يجعل المتلقي لهذه الصورة متنعما في هذه العناصر، فيدرك

الجماليات المكنونة في أجزائها شرط أن يكون من السائلين: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾.

هناك دور فعال للمكان في إثبات هوية الشخصية القصصية في هذه السورة، من يوسف وآخرين؛ هذا وأنّ الشخصية القصصية الرئيسة تتجلي ذات صفات ثابتة، تؤثر في المحيط المكاني ولا تتأثر به أبدا، أو تقبل تأثرا طفيفا لا يعتني به ولا دلالة هامة له، كما رأينا سيدنا يوسف قال: «وقال للذي ظنّ أنه ناجٍ منه اذكرْني عند ربّك»، فمع تأثر النبي بالسجن وغرابته له، فنسي ذكر ربّه واستعان من ذلك السجين الذي خرج إلى الملك، فبقي في السجن عقوبة لهذا، ولكنه سبحانه وتعالى غفر له وعفا عنه فيما فعل.

مصر

إن معايشة مكان جميل ونقل تجربته يثير في الذهن مباشرة هناءة ذلك المكان والعكس صحيح، فسلسلة الإحباطات التي يعانيها المرء في مكان ما تجعل من هذا الأخير مكانا عدوانيا، وهكذا نجد أنفسنا دائما أمام مكان إيجابي ومكان سلبي إن صحّ التعبير (كحلوش، ٢٠٠٨: ٢٦-٢٧). ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ (يوسف/٢١)، ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف/٩٩).

وردت كلمة مصر في النص القصصي القرآني غير هذه السورة مرتين في سورة يونس الآية ٨٧، وفي سورة الزخرف الآية ٥١؛ ويظهر هذا المكان في قصة النبي يوسف بهذه الآية: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف/٢١)؛ وفي موضع آخر: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف/٩٩).

لا شك أنّ كلمة «مصر» في هذه الآية الشريفة تشير إلى البلد المعروف في عصرنا، «لأنّه لو كانت مصر المشار اليها في الآيات المتعددة من سورة يوسف هي غير مصر التي نعرفها، لكان من اللازم أن يبينها الله تبارك وتعالى، أو يبينها رسوله حتى لا يختلف الأمر على السامعين لو كانت هناك مصر أخرى» (بدوي البني، دون تا: ١٠٧)؛ ففي مصر تبين صدق رؤيا النبي يوسف بسجود إخوته، وكان عددهم أحد عشر، ورفع أبويه على العرش وخرّوا له

سجّدا، وهما الشمس والقمر: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف/١٠٠).

تختلف جمالية كلمة مصر الأولى عن الثانية اختلافا تامّا؛ حيث أن الأولى توحي بنهاية الأزمة الأولى في حياة النبي يوسف وهي التخلص من غيابة الجبّ وظلام البئر الناشئ عن شقاوة الإخوة؛ فيقترن التخلص من تلك الأزمة باشتراء العزيز إياه، وهو توسّم فيه الخير والخصال الطيبة، فعلى هذا وصّى امرأته بإكرام مثواه ومنزلته، عسى أن ينفعهم أو يتخذوه ولدا، هذا وإن الابتلاء بمراودة امرأة العزيز إياه حوّل مصر الأولى إلى مكان الغربة؛ هذا وأما «مصر» الثانية توحي بتحقق وعد الله تعالى حيث اجتباه وآتاه من الملك وعلّمه من تأويل الأحاديث وأتمّ نعمته عليه وعلى آل يعقوب؛ يمكن القول بأن الفضاء القصصي الموجود في هذا القسم إيجابي للغاية؛ حيث أنه جلّ وعلا، صدّق قوله بأنه لا يخلف الميعاد؛ فجعل مصر بلدة آمنة للنبي وأبويه وإخوته بعد ما احتمل يوسف، عظيم الابتلاءات وفاز برضاه سبحانه وتعالى؛ فتحولت إلى مكان الألفة.

تشير كلتا الكلمتين ـ مصر الأولى والثانية ـ إلى المقابلة بين الواقع المادّي بأماكنه والواقع الوجداني بأحلامه وتطلعاته، وتلك حالة مكانية ظرفية، تشيح في جميع أماكن المجموعة، فظرفية المكان وتتابعها في حالة وجدانية مباشرة، تسير جنبا إلى جنب.

وختاما للوحدات القصصية لهذه السورة تأكيد لصحة أنباء الغيب: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف/١١١)؛ فالحديث عن النموذج العالى للصبر على البلاء، وهو النبي يوسف الذي كانت حياته سلسلة مترابطة من المحنة، محنته في مصر ومع امرأة العزيز وكيدها العظيم؛ ومن ثمّ إلى السجن ومرارة التهمة والتعذيب؛ ولكن المولى عز وجلّ بعثه للنبوة وجعل حياته عبرة لأولى الألباب.

الأرض

تفيد الأرض في هذه القصة دلالات مختلفة، فهي مرة توحي دلالة عدوانية فيها الخروق للعادة كما قال تعالى: ﴿اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ (يوسف/٩)، فلا يرضى أخ طرح

أخيه في أرض بعيدة لاسترضاء أبيه، ولكن إخوة يوسف لمّا توجسوا خيفة من أخيهم فاختاروا أرضا للمساس بأخيهم وللتخلص ما سمّوه التمييز بينه وبينهم من جانب أبيهم، فالأرض هنا من الأمكنة الضاغطة وفيها دلالات سلبية وفيهم الفصل عن الأسرة والمكان الحميمي المألوف، ولكنّ سرعان ما تحوّلت دلالة هذا المكان البغيض، لكي يكون مكانا مكينا له بمشيئة الله، حيث قال: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ (يوسف/٥٦)، فالأرض نفس المفردة السابقة ولكن دلالتها اختلفت تماما وأصبح يوسف مضربا لهذا المثل الذي يقول: شرف المكان بالمكين، إذا الدلالة الموجودة للأرض هنا، هي العظمة والفخر ليوسف، والمشرف على خزائن الأرض تكريما له وعرفانا بفضله واستمالة له بسبب التهم الموجهة اليه بيد أنه بريء من كلّ منها: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ (يوسف/٥٥)، وفي جانب آخر، هناك إخوة يوسف، وهم نسوا ما فعلوا في يوسف، جاؤوا لأخذ حصتهم من الشعير أو القمح، ولكنهم يواجهون يوسف و لا يعرفونه، وعندما يوجّه اليهم يوسف تهمة سرقة صواع الملك فهم: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ (يوسف/٧٣)، فالأرض هنا كمخمصة لا مفرّ منها وهم لا يعلمون كيف يخرجون منها، فيقول أحدهم: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ (يوسف/٨٠)، فالأرض هنا مكان يحقق الشعور بعدم الحماية واللاألفة واللادفء، ونوع من العدوانية والخوف من حادث لا يحمد عقباه.

من الأفعال الدالة على المكان

ائتوني به: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ (يوسف/٥٤)، إنّ هذا الفعل يحتوي على نوعية التعامل مع هذا الحادث الذي حصل ليوسف؛ بدءاً بالاتهام وعقوبة السجن خلال سنوات ونشوء حالة تحولتْ إلى ثأر امرأة العزيز ونسوة المدينة منه، ردّا على رفض يوسف النبي ميولهن الحيوانية؛ وقامت الصورة الناتجة عن هذا الفعل «ائتوني بِـ» على لسان الملك بتقديم المعالم المكانية مجتمعة كبيت العزيز والسجن وبينهما من تعذيب وعقاب، تدلّ على عمق المأساة؛ «نجد يوسف السجين الذي طال عليه السجن لا يستعجل الخروج حتى تحقق قضيته، ويتبين الحقّ واضحا في موقفه، وتعلن براءته ـ على الأشهاد ـ من الوشايات والدسائس والغمز في الظلام، لقد ربّاه ربّه وأدّبه ولقد سكبت هذه التربية وهذا الأدب في قلبه السكينة والثقة والطمأنينة، فلم يعد معجلاً وعجولاً» (قطب، ١٩٩٨: ٤٣١-٤٣٢).

على وجه الإجمال فإنّ القصة غنية بالعناصر الفنية، غنية كذلك بالعنصر الإنساني،

حافلة بالانفعال والحركة، وطريقة الأداء تبرز هذه العناصر إبرازا قويا، فضلاً على خصائص التعبير القرآنية الموحية المؤثرة، ذات الإيقاع الموسيقي المناسب لكلّ جوّ من الأجواء التي يصوّرها السياق (قطب، ١٩٩٨: ٣٨٦)؛ إذن إنّ المكان في هذه السورة لا تتبعثر عناصره ضمن البنية التركيبية للقصة، فهناك علاقة وطيدة متماسكة بين الأمكنة المختلفة وتجعلها كرابط للتمازج بين الشخصيات والأحداث الموجودة، للوصول إلى الغاية المرجوّة التي شاء الله عزّ وجلّ وهي العبرة للناس؛ من جانب آخر أسهمتْ تقنية تغيير الأمكنة في تطور القصة وأثّرتْ في مجموع العناصر، وجعلتْ للسرد القصصي قوّته القادرة على إقناع القارئ بمصداقية ما يجري في القصة.

النتائج

من أهم النتائج التي توصّل إليه هذا البحث:

١. يلعب المكان دوراً هامّاً وبارزاً في تكوين حياة البشر وهويته، فهناك علاقة متماسكة بين الإنسان وشخصيته والمكان وهو المنطلق لكل تصرف وبعبارة اخرى هناك ثنائية غير منفصلة بين إحساس الذات الفردية والمكان، كما لا يمكن رؤية الأحداث وعلاقات الشخوص في القصة إلا عبر محور المكان وهو المكمّل لعنصر الزمان ويعد عنصرا هامّا وبنّاء للتماسك النصي والبنية القصصية.

٢. إنّ قصة النبي يوسف تصوّر في كثير من أجزائها على أنواع شتّى من المكائد التي جابهت يوسف في المراحل المختلفة من حياته، متمثلة في أمكنة متنوعة، كبيت أبيه النبي يعقوب، حيث واجه الحسد والضغن من جانب إخوته لمّا كان صغيراً وقس على هذا من الأمكنة؛ فإن هذه التجليات المكانية تعبر عن تجسيد فكرة الاختلاف والتباين المكاني والاجتماعي والانساني للشخصيات الحاضرة في قصة النبي يوسف.

٣. شكلت الوحدات المكانية حقلاً دلاليا عملت على تصوير المجال المكاني لأفعال الشخصيات القصصية؛ فتتداخل المعطيات المكانية في بؤس الواقع الإنساني للشخصيات الحاضرة في القصة، كإخوة يوسف، الذين لم يتحمّلوا وجود الأخ الصغير، فقاموا بإيذائه ونقله من بيت النبوّة إلى طرحه في البئر، سعياً للتخلص من حبّ أبيه له، أو في صورة زوجة العزيز لمّا اتهم يوسف بالخيانة، وأوغر صدر زوجته بالضغينة منه، فقام بتشويه سمعة النبي

ونقله من بيت العزيز إلى السجن، بهدف الانتقام منه، بيد أنها لم تعرف أن السجن من الأمكنة الضاغطة ومبدأ للحياة السعيدة الطيبة التي قدّر الله سبحانه وتعالى ليوسف، وجزاءً لتلبية ربّه في الابتعاد عن وساوس الشيطان وشرور النفس الأمّارة بالسوء؛ فللمكان دور بارز في بناء قصة يوسف، كما نلاحظ في الأمكنة الاخرى كبيت العزيز والسجن والمدينة وغيابة الجبّ دلالات بالغة الأهمية حيث يقوم الأشخاص بدورهم في هذه الأمكنة وفيه يحدث التعالي نحو الله والتقهقر إلى الحضيض؛ وهو البطل الذي تتمحور حوله الشخصيات والأحداث والصورة، وينشئ تجربة إنسانية متكاملة إضافة إلى أن البنية المكانية في هذه القصة تجري في إطار الأغراض الدينية.

٤. إنّ البيت بما يجب أن يكون مكاناً أليفاً آمناً يرتاح به الإنسان من دون خوف وحزن، تغيرت رمزيته وفقدت هويته إلى مكان معاكس؛ إذ لم يقم من يعيشون به، بالسلوك الإنساني أو المهام التربوية أو لم يهتموا بالتدابير المقتضية في كل من الأحوال والمقامات.

٥. والسجن وان كان محط العذاب والاغتراب، يكون نقطة انطلاق إلى مآرب متمايزة واهداف متسامية واغراض متعالية؛ إذ كان السجن ظرفا لمن يريد أن ينمي بذور روحه وعقله؛ فلهذا يعبر عنه يوسف بأنه أحبّ اليه مما دعي اليه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الآلوسي، محمد أبوالفضل (١٩٩٤م). *روح المعاني*. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢. أحمد، مرشد (٢٠٠٥م). *البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٣. الأحمر، فيصل (٢٠١٠م). *معجم السيميائيات*. الجزائر: منشورات الاختلاف.

٤. باشلار، غاستون (١٩٨٤م). *جماليات المكان*. ترجمة غالب هلسا، ط ٢، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

٥. بحرواوي، حسن (١٩٩٠م). *بنية الشكل الروائي*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

٦. بدوي البني، عليش متولي (دون تا). *مؤتمر تفسير سورة يوسف*. ط ٢.

٧. الخطيب، عبد الكريم (١٩٦٧م). *التفسير القرآني للقرآن*. مج ١٥، بيروت: دار الفكر العربي.

٨. ـــــــــــــــ (١٩٧٥م). *القصص القرآني في منطوقه ومفهومه*. ط ٢، بيروت: دار المعرفة.

٩. السعافين، إبراهيم (١٩٩٦م). *تحولات السرد، دراسات في الرواية العربية*. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

١٠. عرفت‌پور، زينت؛ وعبيدي، رعنا (١٤٣٩هـ). «المدينة والقرية في شعر صلاح عبدالصبور (من خلال ديواني أحلام الفارس القديم والناس في بلادي)». *مجلة اللغة العربية وآدابها*، السنة ١٣، العدد ٤، شتاء، ٥٦٥-٥٨٥.

١١. عزام، محمد (٢٠٠٥م). *شعرية الخطاب السردي*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

١٢. عمر باحاذق، عمر محمد (١٩٩٤م). *أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني*. دمشق: دار المأمون للتراث.

١٣. غابيد، إدوارد (١٩٧٧م). *المدينة في شعر زماننا؛ الإنسان والمدينة في العالم المعاصر*. ترجمة كمال خوري، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

١٤. الغذامي، عبدالله (١٩٩٨م). *الخطيئة والتكفير؛ من البنيوية إلى التشريحية*. ط ٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٥. الفيصل، سمير روحي (١٩٩٥م). *بناء الرواية السورية*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

١٦. قاسم، سيزا (١٩٨٤م). *بناء الرواية؛ دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٧. قطب، سيد (١٩٨١م). *في ظلال القرآن*. ٤ ج، ط ١٠، القاهرة: دار الشروق.

١٨. ـــــــــ (١٩٩٨م). *قصص الأنبياء في ظلال القرآن*. بيروت: دار اليوسف للطباعة والنشر.

١٩. كحلوش، فتحية (٢٠٠٨م). *بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري*. بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.

٢٠. لحمداني، حميد (دون تا). *بنية النص السردي*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

٢١. مجموعة من المفكرين الفرنسيين (١٩٧٧م). *الإنسان والمدينة في العالم المعاصر*. ترجمة كمال خوري، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

٢٢. المرتاض، عبد الملك (١٩٩٨م). *في نظرية الرواية*. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

٢٣. المعوش، سالم (٢٠٠٣م). *شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر*. بيروت: دار النهضة العربية.

٢٤. نوفل، أحمد (١٩٨٩م). *سورة يوسف دراسة تحليلية*. عمّان: دار الفرقان.